الرسالة

(رومية ١٠: ١-١٠)

يا إخوةُ إنَّ بغيةَ قلبي وابتهالي إلى اللهِ هما لأجلِ إسرائيلَ لخلاصه* فإنّي أشهدُ لهم أنَّ فيهم غَيرةً للهِ إلاَّ أنَّها ليست عن معرفةٍ* لأنَّهم إذ كانوا يجهلون برَّ الله ويطلبون أن يُقيموا بِرَّ أنفُسهم لم يخضعوا لبِرّ الله* إنَّما غايةُ الناموسِ هي المسيحُ للبِرِّ لكلِّ مَن يؤمن* فإنَّ موسى يصِفُ البرَّ الذي من الناموس بأنَّ الإنسانَ الذي يعملُ هذه الأشياء سيحيا فيها* أمَّا البِرُّ الذي من الإيمان فهكذا يقولُ فيه لا تقُلْ في قلبِكَ مَن يصعَدُ إلى السماءِ. أي ليُنزِلَ المسيح* أو مَن يهبِطُ إلى الهاوية. أي ليُصعِدَ المسيحَ من بين الأموات* لكن ماذا يقول. إنَّ الكلمةَ قريبةٌ منك في فمِك وفي قلبِك أي كلمةَ

سلطان الربّ يسوع

تُقرأ اليوم حادثة طرد الربّ يسوع للشياطين من مجنونَين، والسماح لها بالدخول في قطيع الخنازير. هذا المقطع هو في أواخر الإصحاح ٨ من إنجيل متّى. صعد الربّ يسوع في الإصحاحات ٥-٧ إلى جبل وعلَّم الجموع عن الخلاص والحياة الأبدية فتعجّب الناس من حكمته: «...بُهتت الجموع من تعليمه، لأنّه كان يعلّمهم كمَن له سلطان وليس كالكتبة» (مت ٧: ٢٨). يريد الإنجيليّ متّى أن يُظهر لنا أنّ سلطان الربّ يسوع في تعليم الشعب كان يفوق سلطان الكتبة الذين كانوا فعليًّا معلّمي اليهود، والناس تبعوا الربّ أوّلًا بسبب كلامه.

مباشرة بعد العظة على الجبل، نقرأ أنّ الربّ اجترح ستّ عجائب متتالية، وينتهي سرد المعجزة الأخيرة بتعجُّب الجموع، التي ما زالت تتبعه، من سلطانه: «فلمّا رأى الجموع تعجّبوا ومجّدوا الله الذي أعطى الناس سلطانًا مثل هذا» (مت ٩: ٨).

بعدما أثبت الربّ يسوع سلطانه كلاميًّا، توجّه ليعلن سلطانه فعليًّا. المعجزات الستّ المتتالية فيها حركةٌ لاهوتيّة متصاعدة: شفاء الأبرص يوضح أنّ سلطان الربّ ليس على الأصحّاء والأنقياء من اليهود بل على المرضى والنجسين أيضًا. اليهود اعتبروا البَرَص ضربةً إلهيّة لا تُعالَج إلّا بتدخّل إلهيّ. بعد ان شفى الرب الأبرص، أمره أن يُري نفسه للكاهن، حتّى يبرهن أنّ أفعاله إلهيّة وتطال الجميع بلا تمييز. أيضًا، شفى الربّ يسوع غلامَ قائد المئة. جاء هذا الرومانيّ، الأمميّ، غير اليهوديّ يتشفّع لديه من أجل شفاء غلامه، فعندما رآه الربّ يسوع قال للجموع: «الحقّ أقول لكم لم أجد ولا في إسرائيل إيمانًا بمقدار هذا» (٨: ١٠)، ثمّ كلّمهم كيف أنّ الأمم سيسبقون اليهود إلى ملكوت السموات. هنا أثبت الربّ يسوع أنّ سلطانه يتعدّى اليهود ليطال الأمم الأخرى. ثمّ يأتي شفاء حماة بطرس ومرضى الشعب، فيتأكّد القارئ مجدَّدًا من سلطان الربّ يسوع على شفاء الطبيعة البشريّة من كلّ أسقامها، مهما تعدّدت أشكالها. نصل إلى حادثة تهدئة العاصفة، حيث انتهر الربّ يسوع الرياح والبحر لكي يخلّص تلاميذه من الغرق والهلاك، فنعاين

العدد ٢٠١٩/٢٩

الأحد ٢١ تموز

تذكار البارّين سمعان المتباله من أجل المسيح ويوحنا العمودي

اللحن الرابع

إنجيل السَحَر الخامس

سلطانًا إلهيًّا يتعدّى الطبيعة البشريّة إلى كلّ عناصر الطبيعة.

القسم الأخير من الإصحاح ٨ يحوي حادثة طرد الشياطين من مجنونَي كورة الجرجسيّين. يصف لنا الإنجيليّ أنّ المجنونَين الهائجَين كانا يعيشان بين القبور، ولم يكن أحد يجرؤ على العبور أمامهما، لأنّهما كانا خَطِرَين. نقرأ أنّهما استقبلا الربّ يسوع، أي كانا يعلمان بقدومه، وما إن وصل حتّى صرخت الشياطين: «ما لنا ولك يا يسوع ابن الله. أجئت إلى هنا قبل الوقت لتعذّبنا» (٨: ٢٩). ما إن رأت الشياطين المسيح حتّى ظنّت أنه جاء يحاكمها. كان وجوده عذابًا لها. ظنّت أنّ يوم الدينونة حضر، لذلك قالت له: «قبل الوقت». بهذا نفهم أنّ الشيطان كان يعرف أنّه سيُدان يومًا، لكنّه لم يفكّر في التوبة، واستمرّ في تحدّيه لله وعناده، لذلك خلاصُه مستحيل.

طلبت الشياطين أن يسمح لها الرّب بالدخول في قطيع الخنازير، ليس لأنّ لا مكان لها لتذهب، بل لأنّها تهوى إيذاء البشر، وهي تعرف أنّها، بدخولها قطيع الخنازير، ستؤذي أصحابها. لكن لماذا سمح لها الربّ يسوع بذلك؟ إستجاب الربّ لذاك الطلب كي يُظهر للناس أنّ الشياطين أيضًا تحت سلطانه، وتحتاج إذنَه لتتحرّك. سمح لها أن تدخل في الخنازير كي يُظهر للناس مدى خطورتها على جسد الإنسان من جهة، ومدى عناية الله بالإنسان من جهة ثانية. الخنازير لم تستطع احتمال شرّ الشياطين، فقفزت إلى البحر ونفقت، أمّا الانسان فلم تستطع أن تقتله لأنّ الله لم يسمح لها بذلك.

لقد إغتاظ رعاة الخنازير من فعل الربّ، وأخبروا أهل المنطقة بذلك، فاجتمعوا وطلبوا منه الإنصراف عنهم. معروفٌ أنّ الخنزير حيوان نجس في اليهوديّة، ولا يجوز أكله أو لمسه (لا ١١: ٧-٨)، وتربيته من الممنوعات عند الشعب اليهوديّ. لذلك، فإنّ رعاة الخنازير كانوا يرتكبون خطيئة من منظار الناموس اليهوديّ. قلنا سابقًا، إنّ الربّ كرز بملكوت الله وخلاص الإنسان واجترح المعجزات ليؤكّد سلطانه على كلّ البشر أوّلًا، ثمّ على كلّ الخليقة، وهنا أظهر سلطانه على الشياطين أيضًا. إذًا، عندما سمح للشياطين بقتل الخنازير، كأنّه يقول لليهود الذين يُخطئون إنّ الأهمّ هو خلاص الإنسان من الخطيئة. ربّما يسمح الربّ بأن يخسر الإنسان مصدر رزقه كي يُبعده عن اقتراف الخطيئة المهلكة لنفسه.

بعد أن أظهر الربّ سلطانه على كلّ الخليقة، المنظورة وغير المنظورة، شفى الإنسان المخلّع أيضًا. لكنّ حادثة المخلّع تحمل لنا بعدًا جديدًا لسلطان الربّ، وهو سلطان غفران الخطايا. بعدما اجترح الربّ يسوع كلّ تلك المعجزات أمام الجموع، وبسط ألوهيّته أمامهم، يأتي قومٌ يتّهمونه بالتجديف كونه غَفَرَ خطايا إنسان. بعد شفاء الأمراض الجسديّة، يصل بنا الربّ في حادثة شفاء المخلّع إلى أنّ أصل الشفاء من كلّ مرض هو محو سبب المرض، أي الخطيئة.

رأينا، من خلال ما سبق، أنّ للربّ يسوع السلطان المطلق على حياتنا بكلّ زواياها. كلّ ما يريده الربّ هو أن نعود أصحّاء، جسدًا وروحًا، أي إلى الحالة التي خلقنا عليها، فنستحقّ أن نملك معه مجدًّا.

دعوتنا اليوم هي أن نكون خاضعين لهذا السلطان لأنّ ربّنا «يريد أنّ جميع الناس يخلصون، وإلى معرفة الحق يُقبِلون» (١تي ٢: ٤).

الإيمانِ التي نبشِّرُ نحن بها* لأنَّك إنِ اعترفتَ بفمِكَ بالربِّ يسوعَ وآمنتَ بقلبِك أنَّ الله قد أقامه من بين الأموات فإنَّك تخلُصُ* لأنَّه بالقلبِ يؤمَنُ للبِرّ وبالفمِ يُعترفُ للخلاص.

الإنجيل

(متى ٨: ٢٨-٣٤؛ ٩:١)

في ذلك الزمان لمَّا أتى يسوعُ إلى كورةِ الجُرجُسيِّين استقبلهُ مجنونانِ خارجانِ من القبورِ شرسانِ جدًّا حتى إنَّه لم يكنْ أحدٌ يقدِرُ أن يجتازَ من تلكَ الطريق* فصاحا قائلَيْنِ ما لنا ولك يا يسوعُ ابنَ الله. أَجِئتَ إلى ههنا قبل الزمانِ لِتُعذِّبنا* وكان بعيداً منهم قطيعُ خنازيرَ كثيرةٍ ترعى* فأخذ الشياطينُ يطلبون إليهِ قائلينَ إنْ كنت تُخرجنا فائْذَنْ لنا أن نذهبَ إلى قطيعِ الخنازير* فقال لهم اذهبوا. فخرجوا وذهبوا إلى قطيعِ الخنازير. فإذا بالقطيعِ كلِّه قد وثبَ عن الجرفِ إلى

البحرِ ومات في المياه* أمَّا الرُّعاةُ فهربوا ومضَوا إلى المدينةِ وأخبروا بكلِّ شيءٍ وبأمرِ المجنونَين* فخرَجتِ المدينةُ كلُّها للقاءِ يسوعَ* ولَما رأوهُ طلبوا إليه أن يتحوَّل عن تخومهم* فدخل السفينة واجتازَ وأتى إلى مدينته.

تأمل

يحدث أنّ الشيطان يتباحث وإيّاك بقلبك قائلًا: «أنظر كم اقترفتَ من الشر، أنظر كم من الأهواء الطائشة تملأ نفسك وكم يرهقك عبء خطاياك، ولأجل ذلك لا يمكنك أن تخلص». إلاّ أنّه يتصرّف على هذا النحو بغية جرّك إلى اليأس وإقناعك بأنّ توبتك لا يمكن أن يقبلها الله. إذ مذ دخل الخبث العالم بالتعدّي، راح يحادث النفس في كلّ حينٍ كما يحادث الإنسان إنسانًا آخر. لكن، ليس عليك سوى أن تجيب هكذا: «لديّ الدليل الخطّيّ من الربّ... القائل: إنّي لا أشاء موت الخاطئ، بل أن

التبالُه من أجل المسيح

القداسة ثمرة فعل حلول الروح القدس على المؤمن. القدّيس هو المؤمن الذي قَبِل الروح القدس وعاش حياة الفضيلة في الإيمان والرجاء والمحبَّة الكاملة؛ هو كلّ من اتّحد بالربّ. القداسة علاقة شخصيَّة مع الثالوث القدّوس، والله وحده يُظهِر قدّيسيه، بواسطة الروح القدس، إذ يعلن بطرقٍ متعدِّدة أنَّ أحدًا قد اتّحد بالثالوث القدّوس، وصار «إلهًا» بالنعمة، حسب قول القدّيس أثناسيوس الكبير.

تطلق الكنيسة ألقابًا على القدّيسين وفقًا للحياة التي عاشها كلٌّ منهم على الأرض، والمواهب التي منحه إياها الله، مثلًا: القدّيس جاورجيوس «اللّابس الظفر»، البارّ بورفيريوس «الرَّائي»... من هذه الألقاب «المتبالهون من أجل المسيح» كالقدّيس سمعان الذي نعيّد له اليوم (٢١ تموز).

التبالُه، لغويًّا، يعني أن يتصرّف الإنسان وكأنَّ عقله قد ضعُف. أمّا التبالُه من أجل المسيح فهو السلوك في حياةٍ قائمةٍ على التخلّي عن كلّ شيء والتصرّف بشكل غير اعتياديّ يتحدّى المعايير المقبولة، بهدف إخفاء القداسة.

هذا النمط النسكيّ خاصّ بالكنيسة الأرثوذكسيَّة. يتخلّى المتبالهون من أجل المسيح جذريًّا عن كلّ شيء، لدرجة أنّهم يدّعون الجنون ويُبدون ازدراءً بالمظاهر واللّياقات، إذ لا يهتمّون سوى بملكوت الله. عزلتهم عن المنطق البشريّ و«جنونهم» ليسا سوى تسبيح متواصل لله. يَظهرون بسيطي العقل، لكنّ بصيرتهم أقوى من حكماء العالم. قناعهم هذا يفضح عيوب المجتمع الذي يعيشون فيه، فيردّون المتسلّطين إلى الصواب: «لا يخدعنَّ أحدٌ نفسه. إن كان أحد يظنّ أنّه حكيم بينكم في هذا الدهر، فليصِر جاهلًا لأنَّ حكمة هذا العالم هي جهالة عند الله» (١كو٣: ١٨ – ١٩). المتبالهون هم عادة رهبان ينزلون إلى المدن والمجتمع، ويقومون بأعمال غريبة لا معنى لها ظاهريًّا، هي في عَرف المجتمع أعمال بلاهة وجنون وحماقة. مع ذلك، تحمل أعمالهم معنى أعمق: إنّها تكشف الواقع الذي يعيش فيه العالم، والحقيقة المحجوبة تحت غطاء «التمدُّن» المزيّف. يعيش المتباله في الشوارع والأزقّة، مع أناس محرومين، مرذولين من المجتمع، مع الزناة والمتشرّدين.

مثلًا، يقدّم المتباله نفسه على أنَّه إنسان خاطئ، فيكسر أصوام الكنيسة أمام الناس، بينما يمارس في الخفاء أقصى درجات النُّسك في أكله. يقوم علنًا لا بازدراء الصوم والصلاة، بل الطريقة التي يمارس فيها المجتمع هذه الأعمال. يعود ليلًا إلى جماعة القدّيسين، إلى صلواته وصومه ومعاينة وجه الله، ثمّ يرجع صباحًا ليضع قناع التباله، مستهزئًا بالعالم الباطل وزيفه وافترائه ومراءاته. التباله هو إحدى درجات النُّسك القصوى، وهو رفض تامّ لمقاييس العالم وقِيَمِه، وهجر كليّ للأنا. يبالغ في رفض العالم ومعاييره ومُثلِه كي يهزّ ضمير العالم النائم، فيصحو حتّى يرى معايير الإنجيل ومُثلَه التي أضاعها. يرفض المتباله أيّ اعتبار موضوعيّ للفضيلة والتقوى لنفسه، فيذهب إلى أقصى حدود نكران المدح والكرامة، إذ يعرف أنَّ الفضيلة الفرديَّة تفصل الإنسان عن الله لأنَّها تقود إلى

الرضى عن الذّات.

عاش القدّيس سمعان المتباله، مع رفيقه يوحنّا، في زمن الإمبراطور البيزنطيّ يوستنيانوس. إرتبط الإثنان بصداقة أثناء حجّهما إلى الأماكن المقدّسة بمناسبة عيد رفع الصليب. عندما بلغا أريحا، أخبر يوحنّا رفيقَه عن الرجال المقيمين في الأديرة قرب نهر الأردنّ قائلًا إنّهم أشبه بملائكة الله. أشار يوحنّا بإصبعه إلى الطريق المؤدّية إلى تلك الأديرة مردفًا: «تلك هي الطريق إلى الحياة»، ثمّ أشار إلى الطريق العامّ الواسع مضيفًا: «وهذه هي الطريق إلى الموت». توجّها إلى دير القدّيس جراسيموس ملقِيَين عنهما كلّ شيء. قبل وصولهما، كان رئيس الدير قد عَلِمَ، بإشارةٍ إلهيّة، عن وصول الشابَّين فرحّب الرهبان بهما وألبسوهما الثوب الرهبانيّ وأدخلوهما الحياة الجديدة. بعدئذٍ، قرّرا مغادرة الدير والإقامة في البرّيّة مسلِّمَين نفسَيهما للعناية الإلهيّة.

هناك، أمضيا ثلاثين سنةً معرَّضين لقسوة الأحوال الجوّيّة وأحابيل الشيطان. بعد هذه الفترة، بلغ سمعان اللاهوى بنعمة الروح القدس الذي سكن فيه، فاقترح على رفيقه أن يغادر البرّيّة ليعين الآخرين، متجوّلًا في الدنيا ساخرًا، بمعونة المسيح. ظنّ يوحنّا أنّ سمعان ضحيّة وَهْم شيطانيّ، فنصحه وذكّره بألوعد الذي قطعاه، ألّا يفترقا البتّة. لم تصمد حجّةٌ في وجه تصميم سمعان، ففهم يوحنّا أنّ الأمر إلهامٌ إلهيّ، فتركه يذهب. توجّه سمعان إلى القدس، ثمّ إلى حمص. عاش رجل الله سمعان في قلب المدينة بلا هوى، فامتلك موهبة الإمساك، وصار يقضي فترة الصوم الكبير من دون أن يأكل شيئًا.

مرّةً، أخذ يلقي الحجارة على المارّة الذين أرادوا سلوك شارع اجتمعت فيه الأرواح الخبيثة لئلّا يهلك منهم أحد. شملت عناية القدّيس المتباله الجميع، خصوصًا الممسوسين الذين شفى منهم بصلاته عددًا كبيرًا بعدما تظاهر أنّه مثلهم. قبل يومين من مغادرته إلى ربّه، روى سمعان للشمّاس يوحنّا قصّة حياته، ونصحه بعدم الدنوّ من الهيكل المقدّس وفي قلبه أفكار سيئة ضدّ أحد.

لم يشأ أن يكون موضع إعجاب أحد بموته. لذا، عندما علم بساعة رحيله، اندسّ تحت كومة خشب ليقول الناس إنّها سبب موته، فلم يبالِ أحدٌ حتّى بغسله، بل واروه الثرى في مقبرة الغرباء من دون شموع ولا تراتيل. لمّا مرّوا ببيت صانع زجاج يهوديّ، كان سمعان قد هداه إلى المسيح، سمعَ هذا الرجلُ إنشادًا لم يكن ممكنًا سماعه على الأرض، يصدح به جمهورٌ كبير على نحو غير منظور. تطلّع من النافذة فرأى رجلَين ينقلان جسد رجل الله، فهتف: «مغبوط أنتَ، أيّها المجنون، لأنّك بحرمانك صحبة الإنشاد البشريّ، أنشدتك القوّات السماويّة». ثمّ نزل ودفنه بيديه.

منحَنا الربّ القدّوس مثل أولئك القدّيسين الذين نفتقر إليهم اليوم، خصوصًا في عالمنا المتهوِّر والفاقد القيم والأخلاق، فيكونوا صفعة تعيد لنا الوعي فنهيّء مصابيحنا قبل حضور العريس، إذ لم نعد نهتمّ لكلمة الربّ، بل لكلّ ما يجعلنا ننغمس في الخطايا والملذّات الدنيويَّة.

للإطلاع على أخبار الأبرشية:
www.facebook.com/metbei

يتوب، فيتحوّل عن طريق الشرّ ويحيا (حز ٣٣: ١١)». لأنّ المسيح قد أتى ليخلّص الخطأة (١ تي ١: ١٥)، ويقيم الموتى، ويردّ المتوفّين إلى الحياة، وينير الذين في الظلمات. إذ بمجيئه قد دعانا حقًّا لنصير أبناء بالتبنّي، وندخل المدينة المقدسة حيث يسود السلام، وننعم بالحياة الخالدة والمجد الذي لا يعروه فساد. يلزمنا فقط أن ننجز حسنًا ما قد بدأنا، وأن نثبت في القفر، في المنفى الطوعيّ، في الضيقات، في التوسّلات إلى الربّ، وأن نقرع الباب دونما خجل مصطنع (لو ١٣: ٢٥). إن كان الجسد قريبًا من النفس، فالربّ أقرب منه إليها، مستعد للمجيء، لفتح الأبواب المغلقة في قلوبنا ومَنحنا الخيرات السماويّة. ذلك أنّه صالحٌ ومحبٌّ للبشر، وهو يفي دومًا بوعوده، إن ثابرنا فقط على طلبه حتى النهاية.

القديس مكاريوس